عهـــــد

لصاحب العزة الأستاذ محمد محمود جلال بك

— ٢ —

يعجب المرء حين يرجع لنفسه أثر صدمة أو مرض أو ذكرى فيجد فيها يشغل قلبه أو باله اتجاها جديدا أو لونا آخر لا يكاد يختلف عما يشغله ، بل هو فى واقع الأمر منه فى أساسه أو على صلة يصعب فصمها. وكيف يتجلى هذا اللون أو يأخذ به ذلك الاتجاه ومنذ وقت قريب كان غامضاً أو كان مع الوجود عدماً .

ومرت أيام بور سعيد كمر الحاسد الشافى سراعا ، على حد قول المرحوم شوقى بك، وكلها ملأى بحديث الشاعر الشاب وما لونت من ذكراه محض الصادقة من لقاه الشاطىء الجميل ووفاء الأخ النبيل فى بقاع لم تطأها قدمه . فبلده على بحر يوسف ، وذكره ينثر حياته النادرة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بينما فرت روحه فى جنات النعيم .

وفى خضم الذكريات وتداعى المعانى ذكرت حديثا له معى أصيل يوم سائف فى شرفة السلاملك ببلدتى « القيس » وقد جاء يزورنى فى سنة ١٩١٧ أو سنة ١٩١٨ زيارة كأحداها بيننا تسجل امتداد الوداد القديم الذى ربط الآباء كما ربط الأجداد من قبلهم .

ذكرت على شىء من الغموض إشارته ذلك اليوم إلى اعتزام صديق من أهل بلده جمع قصائده فى ديوان ... وأن الشيخ عبد الوهاب النجار قد يقدم له بكلمة . ومع توالى زياراتنا بين الريف والقاهرة لم يذكر بعد ذلك شيئا فى هذا الشأن .

كان شديد الحياء جم التواضع . ولست أشك أن هذا الخلق هو الذى قام دون إهدائه إلى نسخة من الديوان ، وكل ذلك مهد لما أعده تقصيرا منى فى جانبه .

مضت سنوات على وفاته . وبعد قليل لحق به أخوه الأكبر الذى قام على تربيته وتدبير أمره . فأين السبيل إلى ذلك الكنز ؟

غير أن شعورا بالثقة وإيمانا بأن الله مثيب النيات الصالحة باعد بينى وبين اليأس مما قصدت ، وكلما لاحقتنى صعاب أثناء تفكيرى لاحقها لطف من الله بنور الأمل .

وكيف لا يكون ذلك وقد ذكرت فحملت عهداً محبباً إلى النفس أن تفى به مهما كلف من مشقة . وهل يحس المرء مشقة فى أداء عهد؟ ذكرنى به صديق وفى عهد به إليه راحل وفى فالقصة كلها قصيدة وما أحرى الأدب بالوفاء !

ملك على خوف التقصير مشاعرى وأرهف تجدد الذكرى عزيمتى فظللت أبحث مستهديا كل من عرفت له صلة بالشاعر الراحل من قريب أو بعيد طيلة أعوام ثلاثة حتى كانت سنة ١٩٤٧ فأمدنى صديق قريب فى مفاجأة ممتعة بالنسخة الوحيدة الباقية من الديوان، وكانت تحتفظ بها شقيقته الكبرى كأغلى تراث يقتنى وما عرفت بعنايتى وحاجتى إليها حتى سارعت إلى قرنها عليه رحمة الله وهو الذى سلمها إلى صديق ورفيق صباى أحمد الأزهرى إذ كان زميلا له فى العمل .

عددت ما وصلت إليه نعمة كبرى بقدر ما عددته جزاء وفاقا للحفاظ والوفاء .

أما النسخة — على أنها تحفة العمر — فسقيمة الطباعة كثير فيها الخطأ، قد امتدت إليها يد الزمن فزقت من صحفها؛ ولكن هذا كله شحذ العزم على إبراز الشاعر وفضله ووضع شعره فى المكان اللائق به . وليس أولى من الرسالة الغراء صحيفة الأدب الرفيع بنشر فضل كاد ينسى ، وإحياء غصن ذوى فى ربيعه .

وأهلت على سنة ١٩٤٨ بأمراض وآلام اقتضتنى أسفاراً وتوزعت أيامى بين مختلف البلدان . ولعلى أخذت الديوان مرة فى رحلة آملا أن أرد به النفس إلى السكينة، أو أن أرد بأداء الواجب السكينة إلى النفس، ثم لم يرد الله، فانقضى عامان آخران قبل أن يحظى بهذا الأداء قلمى . وقد سلخت هذا المدى الطويل باعثا معقباً بين شواغل الحياة وبلاء الأيام وقلة المصادر إلى قرب إعياء ، التمس